ما هوية.....
المدينة الأفلاطونية

الأفكار كالتاريخ.. سيّالة دفّاقه.. سابقها غير لاحقها.. قد تتماثل.. لكنها لا تتطابق.. فمقولة(سقراط): وهي المقولة (الدلفية) (اعرف نفسك بنفسك) قد يماثلها قول الرسول محمد (ص): (من عرف نفسه فقد عرف ربه). ومقولة (أرسطو): (الرجل رأس الأسرة وسيدها وإليه تعود أمورها لتميزه بالعقل والحصانة، والمرأة دونه عقلاً ووظيفتها العناية بالأولاد وتدبير المنزل). هذه المقولة أيضاً قد نجد في موروثنا ما يماثلها. ولعل هذا ينطبق على سائر الآداب العالمية. فقول: (دانيال أوكنيل) (دعني أكتب أغاني الشعب ولا أبالي بمن يضع قوانينه). واعتبر هذا القول / يوم قيل / من الجِدَّة بمكان. إلا أنه لا يختلف كثيراً عن قول (كونفوشيوس) عندما سأله حاكم البلاد: يا (كونفوشيوس).. من يضع للبلاد قوانينها: أجاب (لا يهم يا أمير مادمت

obeikandl.com

أصنع أنا موسيقاها). ؟. وقول (هوراس): كان آباؤنا خيراً منا وأباؤهم خيراً منهم. يماثله قول معاوية (لن يأتيكم من بعدي إلا من خير منه كما أن من قبلي كان خيراً مني) ولعل مرد التشابه: يعود لأمور كثيرة على الرغم من اختلاف الأقوال زَمَكَاناً وشخوصاً. وقد أكد ذلك (ول ديورانت) في كتابه قصة الحضارة حين قال: (إن أثينا إبان مجدها كانت شرقية أكثر منهاغربية) /1/.

كما أن تشابه جمهورية أفلاطون مع غيرها من (الأوتوبيات)(لخ) اللاحقة لا يصل إلى درجة التطابق، ولو قدر لأفلاطون أن يعيش خارج آثينا ويكتب جمهوريته لما تطابقت مع الجمهورية الأولى لاختلافات المكان. ألم يفت الشافعي للشيء مرتين..مرة في العراق وأخرى في مصر حين اختلف المكان؟ ولو قدر له أيضاً أي(أفلاطون) بحُكمين مُختلفين أن يعيش عمراً مديداً سواء في آثينا أم خارجها وكتب جمهوريته لما تطابقت مع الأولى أبدا لإختلاف الزمان. فالإنسان لا يعيش مرتين. مرة في نفسه وأخرى في بنيه أو في الأجيال التي تليه من مبدأ (ربوا أولادكم فإنهم مخلوقون لغير زمانكم. ألم يقل (هيرا قليطس): (لا يستحم الإنسان بماء نهر مرتين) حتى أن بعض الفلاسفة قد قال مرة واحدة لا مرتين. يقول د. (عبد الرحمن بدوي):

للتاريخ وجهان.. تاريخ حياة.. وتاريخ فكر

فتاريخ الحياة: زمن آلي يقاس بالساعات.. تشترك فيه سائر المخلوقات ما مضى منها وما هو آت.

أما تاريخ الفكر: فهو زمن حيوي حقيقي يقاس بما يبدعه العظماء الذين أوتوا سر الخلق الذي لا يعرف طعمه سوى الله.

قبل أن ينفصل العلم عن الفلسفة: في القرن الثامن عشر /2/حملت الفلسفة ـ التي تتجاوز التقرير إلى التفسير(بر) والتي وصفها (أفلاطون) في محاورات(جورجياس)

---

(1) (إ= لا) و(توبيا = مكان) ـ (أي / لا مكان) وأول من صاغها (توماس مور) /1478 -1535/ و(المتيافيزيقيا) كلمة أوجدها (نيقولاس)الدمشقي في القرن الأول بعد الميلاد.

(2) لقد تنبأ (هبرافليطس) بكسوف الشمس الكلية في /28/آذار عام /558/ ق. م ودرسها دراسة علمية لا ميثولوجية.

بالسحر، ووصفها في (الجمهورية) بأنها التشبه بالله، قدر الطاقة الإنسانية ـ حملت على كاهلها ردحًا طويلاً من الزمن عبئا ليس باليسير ـ إن لم نقل عسيراً ـ ساعية ما أمكنها إلى إيجاد مفاتح لحل لغز هذا الكون العصي عن الفهم، باحثة فيما حواه وما أحاط به، محاولة تصور مبدعه، مُنْسَابة عبر مساربه المتشعّبة وجوداً وجوهراً، سابرة غور النفس الإنسانية الخَلْقي والخُلُقي والنفسي والاجتماعي والسياسي والفلسفي عبر مراحلها (كينوتة ـ وسيرورة ـ وصيرورة).

والأفكار: ضرورات حياتية ليس لأصحابها فقط، بل للعصور التي تليها والتي تعاقبت عليها من بعدها لأن فلسفة عصر من العصور تصبح في الأحوال العادية أدب العصر الذي يليها. /3/

والإنسان بوصفه وجوداً وقدرة على التحكم على الوجود، هو الكائن الوحيد الذي يقذف بذاته خارج ذاته. يقول (فاليري): (إننا محبوسون خارج ذواتنا).

أما الحيوان فلا تشغله أخطاء اليوم، ولا ترهقه هموم الغد لأنه أسير اللحظة التي يمر بها وكأنها الأبدية حسب تعبير (برغسون).

وتبدأ الفلسفة: حين يداخل الإنسان الشك وكأن الشك مولّد يحرّض رحم الفكر على إطلاق التساؤلات والسؤالات: (**هل؟ / من؟ / ماذا؟ / لماذا؟ / كيف؟ / أيان؟ /؟. !**). هذه الأسئلة اللاهثات اللائبات الحائرات تستنطق أعماق الذات استنطاقاً لجوجاً لإدراك كنه المرئي واللا مرئي/ والماحول/ والمافوق/ والحسي/ وما وراء المدرك الحسي / والسيكولوجي/ والباراسيكولوجي وما إلى ذلك.....

ويمكن القول: (إن الشك نواة سائر الأفكار، لأنه العتبة الأولى من عتبات اليقين. ألم يعتبر (ديكارت) أن (الشك أس الفكر ومعيار الوجود) حين قال: (أنا أفكر إذاً أنا موجود) بمعنى (أنا أشك إذاً أنا موجود) وقال الفيلسوف (ديدرو) (الشك سبيل الحقيقة واليقين). ولعله بقوله هذا لا يكون قد أتى بجديد، لأن حجة الإسلام (أبو حامد الغزالي) الذي نبذ الفلسفة وحاول أن يعيد للصوفية ألقها قال:

/1/ - انظر كتاب الفكر اليوناني قبل أفلاطون. د. حسين حرب.ص/28/.

obeikandl.com

(الشك هو الموصل للحق. من شك نظر. ومن نظر أبصر ومن لم يبصر كان عمياً)[لخ].

لكن ليس شكّاً من أجل الشك بل شك منهجي./4/ وإضافة إلى أن الشك يتطلب منا شاكّاً لا نشك فيه، فإنه دعوة إلى إقرار سيادة العقل لأن العقل شرع من داخل والشرع عقل من خارج /5/.

بدأت الفلسفة اليونانية في (أيونيا) في القرن السادس ق. م فكراً عفوياً على يد (طاليس) رأس الفلسفة اليونانية الذي قال: (إن الماء أصل كل شيء)[بر]. ويمكن اعتبار ذلك كما يقول د.(حسين حرب) في كتابه (الفكر اليوناني قبل أفلاطون) مرحلة انتقالية وسيطة بين الفكر البدائي والمعرفة العلمية./6/ وقد بلغت هذه الفلسفة ذروتها في القرن الرابع / ق. م /يقول (شلي): (إن الفترة الواقعة بين مولد بركليس وموت أرسطو تعد بلا شك أهم فترة في تاريخ العالم كله سواء نظرنا إليها من حيث هي ذاتها أو من حيث أثرها على مصائر الإنسان المتحضر من بعدها) /7/.

أطوار الفلسفة اليونانية: مرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أطوار:

- **الطور الأول:** عصر ما قبل سقراط.
- **الطور الثاني:** العصر الذهبي المتمثل بالأثافي الثلاث (سقراط ـ أفلاطون ـ أرسطو).
- **الطور الثالث:** مرحلة الذبول والأفول. وتمتد حتى ظهور العصور الوسطى. إلا أن الفلسفة انتعشت في الإسكندرية عند ظهور الأفلوطينية المحدثة في القرن الأول بعد الميلاد على يد (فيلون) /25ق. م ـ 4م/ ثم على يد أفلوطين من بعده وقد نعت العرب فلاسفتها

---

(1) انا مَوْسَقْتُ فكرة الغزالي ليسهل لفظها وحفظها يقول الغزالي: (الشكوك هي الموصلة للحق، فمن لم يشك لم ينظر. ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر وقع في العمى والضلالة).

(2) عقب بعض المستشرفين على هذا القول بأن محمداً (ص) قد تناهى إلى سمعه هذا الكلام فقال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) هنا نرى بأنه نعت الآية الكريمة بأنها من قول محمد (ص) (وهذا مرفوض أصلاً).

بالأسكندرانيين./8/ وإذا عد (أرنست رينان) عمل اليونان معجزة كبرى فإن سارطون /9/ لم يؤكد قصب السبق لهذه المعجزة لأن هناك آلافاً من الجهود العلمية المبذولة التي سبقتها من خلال حضارة مصر وبلاد ما بين النهرين. ولست هنا بصدد إثبات أو نفي فضل العرب الأقدمين على اليونان حتى أورد ما أجمع عليه العلماء والمفكرون. ألم يقل (عمر فروخ): (إن ازدهار الفلسفة اليونانية يعود لعاملين خارجي وداخلي. أما الخارجي، فهو احتكاك اليونان بالمدينة الشرقية /10/ أو ما قاله (ديوجانوس اللا يرسي): (إن أول فلسفة قامت عند المصريين) أو ماذكره (رفاعه الطهطاوي) في كتابه (بداية القدماء وهداية الحكماء) /11/ من أن مؤسس مدينة (أثينا) هو (ققروبيا)(تسمية لها بإسمه) وكان ذلك / ق. م/ بأكثر من ألف وخمسمئة سنة /12/ لكن يكفينا في هذا الصدد اعتراف (أفلاطون) بلسان حاله وإقراره بفضل المصريين عليه. لكن الإغريق كما يرى (نيتشه) قد منحوا الفلسفة شرعيتها./13/ ولما كان للفلسفة من شأن كبير عندهم فقد قال أحد فلاسفتهم (الكشف عن برهان واحد في الفلسفة خير لي من الحصول على عرش فارس /14/.

مولد أفلاطون

ولد (أفلاطون) بن (أرسطو) بن (أفريقطيون) عام/427ـ347/ ق. م أطلق عليه مدربه الرياضي سخرية لقب (بلاطون)(لخ) لعرض في منكبيه فلبسه اللقب حياً وميتاً حتى كاد أن ينسى اسمه الحقيقي وهو (أرسطو قليس)(بر). منهم من عده الفيلسوف الأول فأطلق عليه معمماً (هو الفلسفة والفلسفة هي أفلاطون) ومنهم من أطلق عليه مخصصاً فقال: (إنه الفلسفة اليونانية كلها).

---

(1) حورت اللفظة إلى العربية بـ (أفلاطون) ونحن نقول (بلاط ـ باطون) لكل شيء قاسٍ وصلب.

(2) معناها لأحسن الشهير. انظر قصة الحضارة. ول ديورانت ص /468/ج /2/.

ومنهم من رأى في تلميذه (أرسطو) اللاحق عليه زمناً بأنه الفيلسوف الأسبق من أستاذه تميزاً وعطاء لأنه استنزل الفلسفة من عليائها إلى العالم الأرضي وجردها من ثوبها الميتافيزيقي فكان بحق (رائد المذهب الحسي) ومؤسس علم المنطق. زعموا أنه ابن الإله (أبلون) فكانوا يحتفلون بمولده في أواخر أيار من كل عام)[1]. وقد وصفه (الشهرستاني) بـ (أفلاطون الإلهي). ويقول عنه (فرانسوا شاتيليه) (إنه يسعى لانتزاع الظلم من العالم وتحرير الجزء الإلهي في الإنسان).

رفض (أفلاطون)

قول (السفسطائيين): (إن الحواس خير وسيلة للمعرفة). وقول (بروتاغوراس): (الإنسان مقياس الأشياء كلها). آمن (أفلاطون) (بخلود النفس وبعالم المثل. وقد عَدُّوه مسيحياً قبل وجود المسيحية)./15/ نسج الخيال الشعبي عن مولده الكثير من الخوارق، شأنه في ذلك شأن سائر العظماء ومن جملة ما قالوا عنه:

(إن النحل كان يأتيه في طفولته ويضع له العسل في فمه). وكان يدعو الله قائلاً: (يا روحانيتي المتّصلة بالروح الأعلى، تضرعي إلى العلة التي أنت معلولة من جهتها لتتضرع عني إلى العقل الفعال في صحة مزاجي ما دمت في عالم التركيب)./16/ رسمه الفنان (روفائيل) في لوحة في مدرسة (أثينا) وبجانبه (أرسطو) يتوسطان الفلاسفة (أفلاطون) يومىء بنظره إلى السماء وأرسطو يشير بإصبعه إلى الأرض)./17/

نشأ أفلاطون في أسرة أرستقراطية. نبغ في الموسيقى والرياضيات والبلاغة والشعر والسياسة والكتابة المسرحية أيضاً. ثم ركز أخيراً على السياسة حباً بأستاذه (سقراط). ويظهر أن سائر الذين خاضوا غمار السياسة أغرقهم بحرها اللّجيّ فلم يستطيعوا منه فكاكاً. ولقد حمد الله قائلاً: (أحمد الله لأني ولدت يونانياً لا بربرياً، حراً لا عبداً، رجلاً لا امرأة، لكن علاوة على ذلك أشكره لأني

---

(1) وهو عيد الاحتفال بالإله (أبلون).

ولدت في عصر سقراط) /18/[لخ]. ولعل عشق (أفلاطون) المفرط (لسقراط) إلى حد التماهي جعله بطل محاوراته كلها حتى أنك حين تقرأ محاورة من محاوراته يَشْكُلُ عليك في كثير من الأحايين معرفة من المتحدث وايهما صاحب الفكرة[بر].

نال جائرة الشجاعة لاشتراكه في ثلاث معارك وانتهت بحرب (البلوبونيز) /404/ ق. م حيث هزمت (أثينا) هزيمة ساحقة أمام جيش إسبارطة وتحطم أسطولها العظيم.

أسس في (أثينا) بناء فخماً في حدائق البطل (أكاديموس) أطلق عليه فيما بعد اسم (الأكاديمية) ولهذا يقال: (إنه منشئ أول جامعة في التاريخ). وكان لا يسمح بالدخول إليها إلا لمن كان مهندساً، وقد نقش على بابها العبارة التالية: (من لم يكن مهندساً فلا يدخل هيكل الهندسة)[تر].

مؤلفاته: كتب (أفلاطون) ستة وثلاثين كتاباً بلغة الحوار ماعدا اثنين منهما فقط[بر]. ولعل لغة الحوار / حتى في المؤلفات الفلسفية / دليل حي يُظْهِرُ ما للمسرح اليوناني من شأؤ كبير كونه يعتمد على لغة الحوار. وَلِمَا لكتاب الجمهورية من أهمية بالغة ليس بالنسبة لمؤلفات (أفلاطون) فقط بل بالنسبة لسائر الكتب العالمية،

---

(1) نرى في حمده هذا شيئيين:

- دعوة عرقية من خلال تعصبه لليونانيين.
- نرى تناقضاً في أرائه حيث حمد الله أن خلقه رجلاً لا امرأة وهو في سائر محاضراته لا يفرق بين الجنسين.

(2) وأفلاطون واحد من أهم المصادر ـ إن لم نقل أهمها على الإطلاق ـ التي تعطينا فكرة عن (سقراط) لأن (سقراط) كان يعلم تلاميذه شفاهاً.

(3) وبعده أسس (أرسطو) مدرسة (اللقيون) نسبة إلى (لوقيون) إله الرعاة وسماها باسم صديقه لأنه لا يحق له امتلاكها كونه أجنبياً ولكونه كان يعطي دروسه في الرواق جيئةً وذهاباً سمي تلاميذه بـ (المشائين). وابتداء من القرن /3/ق. م شهد ظهور مدرستين (الرواقية والأبيقورية) واستمرت هذه المدارس عدة قرون، واستمرت حتى العصر الوسيط، ويقال إن سقراط: منشىء طريقة الحوار في التربية. انظر هنري توماس. أعلام الفكر الأوروبي ص/12/.

(4) يقال: إن ستة منها منحولة واثنين مشكوك فيهما.

فقد عده (أمرسن) الكتاب الأول والأفضل فقال: (أحرقوا كل الكتب. ففي هذا الكتاب غنى عنها)/18/.

مدينة أفلاطون

عندما شرع (أفلاطون) بتصور مدينته الفاضلة وجه بصره نحو اسبرطة المنتصرة على (أثينا) واتخذها نموذجاً له /19/. فالدولة في نظر (سقراط) نتاج أفراد أهاليها وتستمد شكلها منهم وبالتالي فهي مرآة تعكس أحوالهم. رأى (أفلاطون) أن الدولة تنشأ لعدم إمكانية الفرد من سد حاجاته بمفرده، وقد رأى النقاد بأنه الجد البعيد لمختلف النماذج السلطوية في العصور الحديثة /20/. لقد عني (أفلاطون) بسكان مدينته عناية فائقة منذ صغرهم لإيمانه بأنه لا يمكن أن تقام مدينة مثالية بأولاد صغار أفسدهم كبارهم /21/ **فرسم للمدينة صورة نلخصها فيما يلي:**

ـ الاستيلاء على الأطفال دون سن العاشرة. يُعتَنَى بأصحاب الأبدان منهم فقط ويُهْمل السقماء والمرضى ويُخْفَوْنَ عن أعين أهاليهم حتى يموتوا من تلقاء ذواتهم[لخ].

ـ يوضع أصحاء الأبدان في محاضن الدولة، وتعنى بهم مربيات ومرضعات. تحدد لهم ساعات إرضاع يومية.

و إذا امتلأت أثداء الأمهات بالحليب، يؤخذن على محاضن الدولة كمرضعات شريطة أن لا تعرف مرضعة ولدها أو أب أبنه وأن لا يعرف ولد والديه[بر]. (نلحظ هنا أنه من أوائل الداعين إلى العالمية).

ـ ثم يخضعون للتدريبات الرياضية مدة عشر سنوات أُوْلى لتنمية أبدانهم ليكونوا في المستقبل قوة تدافع عن الوطن وتقيه شر المتكالبين عليه لإيمانه بأن الفردوس الأرضي يبدأ في جسم الإنسان (العقل السليم في الجسم السليم). وفي جمهورية (أفلاطون) يشترك الذكور والإناث معاً في سائر مناحي الحياة ابتداء

---

(1) و(روبرت أوين) أيضاً.. طالب بعزل الأطفال عن الوالدين حين بلوغهم سن الثالثة من العمر.

(2) هناك مادة اسمها (البرولاكتين) من خلالها تعرف حتى أمات الطيور أبناءها ولهذا فالأم بحاجة إلى تفريغ عاطفتها في طفلها.

بالأعمال الصغيرة وانتهاء بسدة الحكم، لأن الخلاف بينهما خلاف في الدرجة لا في النوع. والعمل بينهما موزع على القدرة والكفاءة لا على الجنس، وكل توكل إليه المهام التي تتلاءم مع نفسه وتنسجم مع طبيعته[لخ]. والملفت للنظر مطالبته الإناث ـ أثناء التدريبات الرياضية ـ أن يكن عاريات كما خلقهن الله صغيرات وكبيرات، (أول دعوة لإقامة نادي للعراة)، لأن تجريد الجسم في نظره خير من ستره وستار الفضيلة هو الستار الحقيقي للجسد[بر]. وبعد عشر سنوات من التدريب الرياضي يبدأ التدريب الموسيقي. والموسيقى عند (أفلاطون) تهذب النفس وتصقل المشاعر وتهيئ المرء لأن يكون فيلسوفاً في المستقبل. فهي روح الكون وعلم الانسجام وتنتهي عنده في محبة الجميل، ذلك الجميل الذي هو خلاصة الخلاصات الهابط علينا من عالم المثل القابع في الملأ الأعلى. ويرى (أفلاطون) بأن الجميل هو أقرب الأشياء إلى القلب لكنه عسير المنال[تر]. وما الحب سوى تعطش الروح البشرية إلى ذلك الجميل. ولقد كان الجمال الحسي عند قدماء الإغريق رمزاً للجمال الأخلاقي لأن كلا الجمالين يتعلق بكمال آت من لَدُنّ الآلهة /23/. ولقد حذر من إدخال الجديد على الموسيقى خوفا من انحطاط سمو الروح وخوفا من الاختراق الموسيقي (الذي نسميه اليوم بالغزو الثقافي والفني) لأن الاختراق الموسيقى لا يؤثر على الشعب فقط بل حتى على الأنظمة السياسية/24/[بر]. كما أن علينا أن لا نُفْرِط أو نُفَرِّط في التدريبين الرياضي والموسيقي من مبدأ (لا إفراط ولا تفريط) لأن الإفراط في التدريب الرياضي يؤدي إلى الخشونة) (و الإفراط في التدريب الموسيقى يفضي إلى اللين).

ولقد ركز (أفلاطون) على شحذ خيال الأطفال من خلال الأسطورة أو القصص التي تسرد عليهم، ويرى الفيلسوف العقلاني (برشفيك) في استخدام (أفلاطون)

---

(1) نوهنا عن هذا التناقض سابقاً.

(2) السؤال المطروح: إذا كان الجسم ستاره الفضيلة.. لما لم يطلب من الذكور ـ أيضاً ـ أن يتدربوا عراة كالإناث؟.

(3) نحن نقول في المثل العامي (الحلو مسبحة ربو.. مين ما كان بحبو) وأيضا (الحلو الله بيحبو).

(4) (حتى الأغنية الهابطة هي أغنية سياسية (بالمقلوب) أي موجهة من قبل من ابتدعها إلى الجيل المراد هدمه لأنها حرف للجيل عن تطلعاته التي عليه أن يتمسك بها.

للأسطورة (هجوماً مضاداً) على شكل الفكر البدائي الذي نجده عند (هزيود) إذ طالب (أفلاطون) بسرد الأساطير المحببة إلى الأطفال والتي تركز على الجوانب الإيجابية كالحب العظيم والخير العظيم ومكارم الأخلاق. لإنماء بذرة الفضيلة فيهم والإحجام عن سرد الأساطير المخيفة عليهم والمليئة بالتهويل والتهديد والوعيد والعقاب والهلاك لأنها تثبط العزائم سواء سردت بطريق الحقيقة أم بطريق المجاز، فالطفل لا يفرق بينهما. ويشترط في الأساطير التي تقص أن لا يذكر فيها مالا يليق بالآلهة أو الأبطال لتبقى الآلهة في الأذهان فوق المستوى الإنساني ولتكون مرجعاً وسبباً يعزى إليه كل ما لم نستطيع تحقيقه من مبدأ (الجبرية والقدرية)، وأن الإيمان بها يمدنا بالشجاعة في مواجهة الموت.

كما طالب بعدم زجر الأطفال و(نَهْرِهم) أثناء حثّهم على التعليم بل علينا أن نجعل الرغبة في التعليم تنبع من تلقاء ذواتهم حتى لا يمتزج تهذيب الأحرار بشيء من الاستعباد، وأن نقدم المعلومات لهم ـ ما أمكن ـ عن طريق ألعاب مسلية في أوقات نشاطهم لأن الإرهاق والنعاس عدوان للدرس[1]. (نلحظ هنا تركيزاً على علم النفس وعلاقته بالتربية).

هذه المعلومات جديرة بالاهتمام وبخاصة لدى كتاب الأطفال.

وعندما يصبح هؤلاء الأطفال يافعين في سن (السادس عشر) من العمر يتوقفون عن دراسة الموسيقى وينصرفون إلى العمليات العسكرية والرياضية وبقية العلوم مدة سنتين. عندها تكون الموسيقى قد (أرهفت) أسماعهم وقوت الرياضة أبدانهم وأصبحوا أهلاً لتلقي العلوم والمعارف فيخضعون لامتحانين اثنين عادلين لانتقاء الكفاءات، مجردين من المحاباة والمداراة والمحسوبيات والانتماءات والولاءآت وما إلى ذلك.. لأن هذين الامتحانين لا يقرران مصير فرد فقط بل يقرران مصير أمة بحالها.

---

(1) كثيراً ما كنا نطالب نحن في مدارسنا أن يكون درس الرياضيات أو الفيزياء أو الكيمياء بعد حصة نشطة كالرياضيّة مثلاً.. أو صباحاً لأن الإرهاق يخفف من وصول المعلومة إلى المتلقي كثيراً.

الامتحان الأول: ينتقى من خلاله القادرون على تحصيل العلوم. والمتخلفون في هذا الامتحان يفرزون إلى طبقة الصناع والزراع، أما الناجحون فيتابعون دراستهم ويتعلمون العلوم الرياضية والفلسفية.

الامتحان الثاني: امتحان عسير جدا يقام بعد عشر سنوات من دراستهم يصفى من خلاله الدارسون. فالمتخلفون فيه يفرزون إلى طبقة الجند والكتبة المساعدين، أما الناجحون الأكفاء فيدرسون الفلسفة مدة خمس سنوات، ثم يتمرسون بتجارب الحياة مدة (خمسة عشر عاماً)، وهذا هو المِحَكُّ الأخير لقدراتهم. وإذا بلغوا (الخمسين) من العمر، يكون السن قد هذبهم والخبرة قد صقلتهم والتجربة أغنت عقولهم التي امتلأت بالعلوم والمعارف، عندها يصبحون قادرين على امتلاك زمام الحكم أولئك هم الحكام الحقيقيون.

أقسام جمهورية أفلاطون

يرى (أفلاطون) أن الناس متساوون في الوطنية والمظهر إلا أنهم مختلفون في الإمكانية والجوهر فالناس في جمهوريته **معادن ثلاثة:**

1 ـ **الذهب ـ تمثله طبقة الحكام وهو خير المعادن.**

2 ـ **الفضة ـ تمثله طبقة الجند معدن وسط بين الاثنين.**

3 ـ **البرونز والنحاس والحديد ـ تمثله طبقة الصناع والزراع الذين يقدمون للفئتين أسباب العيش.**

فئة رابعة: فئة العبيد التي سمح بها (أفلاطون) شريطة أن يكونوا غير يونانيين. وعندما توفي (أرسطو) أوصى بعتق سائر عبيده وجعلهم أحراراً فكان هذا العتق أول إعلان تحرير في العالم كله.

وطبقة الجند لا وجود لهم داخل المدينة لأن الجمهورية الأرستقراطية التي يحكمها الفلاسفة لا خلاف بين أهلها، ومهمة الجند هو الدفاع لا الهجوم لأن (أفلاطون) يكره الحرب وعندما يستتب الأمن في الجمهورية فلا حاجة للجيش لأن الرفاهية ـ في نظره ـ هي التي تصنع الحرب عكس السفسطائيين الذين يرون في

الحرب تعبيراً عن اصطفاء طبيعي يؤمن استعباد الضعفاء وانتصار الأقوياء. ويرى (كاليكليس) و(ثراثيماخوس) أن نجاح الطاغية مهما كانت الجرائم التي حاز بها نجاحه هي دلالة على قوته، وبالتالي على قيمته /22/، والجيش الذي يعسكر حول المدينة لا يسعى إلى سبل العيش ولا يكون أُسَراً حتى لا تكون أُسَرُهم في مكان وهم في مكان آخر، ولذا تصحبهم نساء أينما حلوا ينفسن عنهم من غير أن يرتبط جندي رباطاً زوجياً بإحداهن /23/. وبما أنه يرى أن الدولة شخص كبير والشخص دولة صغيرة فقد طبق هذا التقسيم الثلاثي على النفس البشرية أيضاً. **فأقسام النفس عنده ثلاثة:**

1ـ **قسم عقلي ـ فضيلته الحكم وتمثله طبقة الذهب = أي الحكام.**

2ـ **قسم غضبي ـ فضيلته الشجاعة وتمثله طبقة الفضة = أي الجند.**

3 ـ **قسم شهوي ـ فضيلته الاعتدال تمثله طبقة البرونز والنحاس والحديد = الزراع والصناع.**

لقد آمن (أفلاطون) بأن الحاكم ولد ليكون حاكماً وأن المحكوم ولد ليكون محكوماً. لأن الحاكم من سلالة الحكام أولئك الآلهة الأرضيين. ومن هنا برزت عنده فكرة الملك الإله أو ممثل الإله على الأرض. وقد سيطرت هذه النظرية على العقول فترة طويلة من الزمن قبل أن يتأنسن الحاكم. يقول في الجمهورية (ولما كنتم متسلسلين بعضكم من بعض فالأولاد يمثلون والديهم[لخ]. إلا أنه ـ على ما يظهر أدرك خطأ تعميمه القطعي لأن لكل قاعدة استثناء ـ فخرق القاعدة التي أعلى هرمها بنفسه فقال: (على انه قد يلد الذهب فضة وتلد الفضة ذهباً. فإذا وُلِدَ للحاكم وَلَدٌ معدنه نحاس أو حديد فلا يشفقن والداه عليه بل يضعاه في المكان الذي يليق مع جِبِلَّتِهِ. وإذا وُلِدَ للنحاس أولاد فضة أو ذهب فعليه أن يأخذ مكانه لأن حلول المرء في غير محله مجلبة للدمار. ونجد من خلال تصريحه هذا تناقضاً آخر

---

(1) ونحن مع النقاد الذين لم يوافقوه على طرحه لأن الحكم حسب الجدارة لا الوراثة المَلَكِيَّة فقد كان لـ (شيشرون) ولدٌ منحلٌ وكان أولاد (سقراط) كأمهم بلهاء، وليس هناك أولاد لهما وفيهم صفات الحكم.

عنده لأن قناعته السابقة تقول إن المدينة التي يحكمها النحاس والحديد هي مدينة مآلها إلى الثبور والهلاك لا محالة.

الزواج في مدينة أفلاطون

يتم عن طريق الدولة وتختص به طبقة البرونز والنحاس والحديد فقط (وهي طبقة واحدة)، مع منع الزواج بالأقارب وأن لا ينسلوا أكثر مما يستطيعون (أول دعوة لتنظيم بل لتحديد النسل). وإذ بلغ الشاب (خمساً وثلاثين) سنة ولم يتزوج تفرض عليه الدولة عقوبة. كما حدد موعد نضوج الجنسين (نضج المرأة ـ من40/20) (و الرجل من 55/30)(نظرة بيولوجية). ومن يُنْجِب قبل أو بعد هذا السن يتهم بأنه آثم بحق الدين والعدل. وعندما يتجاوز أحدهما سن الإنجاب فله الحرية في معاشرة من يشاء من النساء (دعوة إلى الإباحية). وإذا حبلت إحداهن عرضا فعلى جنينها أن لا يرى النور. ولقد دافع اليونانيون عن الإجهاض ومنهم (أرسطو طاليس) بحجة أنه أفضل من قتل الأطفال بعد أن يروا النور[لخ] /24/. لكنه حرّم على الرجل أمه وابنته وجدته وحفيداته، وحرم على المرأة أباها وأولادها وسلفها وخلفها. وكان القانون اليوناني يبيح زواج الأخت إن شاء الاقتراع ذلك وأكدته (نبوءة دلفي)[بر]. ويباح للرجل أيضاً أن يتخذ خليلة ويباشرها فضلاً عن زوجه. يقول (ديموستين): (العاهرات للذة والخليلات لصحة أبداننا والأزواج يلدن الأطفال ويعتنين ببيوتنا عناية ملؤها الأمانة والإخلاص). كما أباح للرجل الزواج باثنتين نتيجة للحروب اليونانية التي ذهب ضحيتها الكثير من الشباب اليونانيين. وإضافة إلى ذلك أباح للرجل التسري، فكانت المرأة اليونانية تصبر على هذا الواقع كرها وتصبر صبر الشرقيات كما يقول (ول ديورانت).

---

(1) أذكر قولاً (لسفوكليس) فيما معناه (اسعد الناس هو الذي لم يولد بعد ويليه في السعادة من مات في طفولته).

(2) كان الرومان يحترمون زواج الأخت أما المصريون والأثينيون واليهود فكانوا يجيزون زواج الرجل من أخته لأبيه. انظر كتاب. دراسات في النظم والمذاهب. د. لويس عوض. كتاب الهلال عدد/199/ ص/35/.

أما المرأة اليونانية إذا زنت أو كانت عقيمة عاقراً تطلق شرعاً وإذا توفي زوجها فليس لها مما ترك أي نصيب.

صفات الحاكم الأفلاطوني: رسم أفلاطون للحاكم الذي تصوره صورة مثالية عز نظيرها في عالمنا الأرضي لأنه تخطى ـ في رسمه لها ـ الكفاية ووصل بها إلى درجة الكمال، وغوته يقول (الكمال معيار السماء والسعي نحو الكمال معيار الإنسان).

صفاته: طاعن في السن، وافر الفطنة، عظيم الذكاء، عريق الوطنية، قليل الأنانية، فيلسوف في النزعة، عظيم الحماسة، راكب خيل ماهر، حبيب الله، عادل لا يتجاوز نده بل يتجاوز ضده لأن المتعدي عدو الله يتجاوز نده وضده معاً، لا يعمل لإسعاد قسم في مدينته دون آخر بل يعمل على لإسعاد الجميع طالما أن الغرض من إنشاء الدولة هو اكتشاف العدالة التي ركز عليها (أفلاطون) كثيرا[لخ]. والحاكم يسعى جاهداً لإرساء دعائم الوحدة التي وصفها (بالخير الأعظم) ورأب الصدع ونبذ التفرقة والتجزئة ووصفها (بالشر الأعظم).

طعامه: (بسيط.. صحي.. معتدل) يكفل له عدم استشارة الطبيب، لا يخص نفسه بمال ولا بعقار ولا بإمرأة ولا بولد[بر]. (سبق للشيوعية) ما دامت المدينة كلها حل له ونساؤها رهن يمينه متى يشاء. وبما أن التخصص لب الجمهورية فعلى الحاكم أن لا يتخصص بعمل سوى الحكم قولاً وعملاً. ولقد أجاز له الكذب. وحظر على غيره مشاركته هذا الامتياز لكن بشرطين اثنين ليكون دواء لا داء بمعنى (الكذب الأبيض).

---

(1) وفي الجمهورية نجد (كاليكليس) /الذي ابتدع شخصيّته (أفلاطون) ليكون تمهيداً لإجاباته/ التي نقد من خلالها (أفلاطون) ما كان يطرح مثل (العدالة هي منفعة الأقوى ويؤكد أن القوانين قد سنها الضعفاء لكبح جماح الأقوياء ومنعهم من إظهار تفوقهم).

(2) انكر (أرسطو) على الحكام شيوعية النساء مطالباً بإقامة العلاقات بين الأب وابنه وبين الزوج والزوجة والأولاد لأن في ذلك استمرار للحياة والأسرة والا كان الابن ابناً للجميع والأب أباً للجميع والزوجة زوجة للجميع.

أولاً: أثناء محاربتة الأعداء (من مبدأ الحرب خدعة).

ثانياً: إقناع الأهالي بما فيه خير الدولة. يقول (هتلر) في كتابه (كفاحي هلتر) (لا ينبغي مخاطبة الجماهير بالحجة والمنطق العقلي). وإذا أصاب أحد رجال الدولة أزمة أو حظي بنعمة فعلى الجميع مشاركته أتراحه وأفراحه، وإذا كان في أحد السكان موجدة على أخيه فعليه أن يجد حلاً لها بمواجهته شخصياً ومصارحته حتى لا يتفاقم الشر فيما بينهم. كما حرم على الحاكم الإفراط في الضحك لأن الضحك المفرط يعقبه ردة فعل[لخ]. جسور إذا ألمت به مصيبة غير نداب كالنائحات. غير مخنث ولا كسول ولا سكير لأن الحاكم آخر شخص في المدينة يحق له أن يشرب فيفقد صوابه لأن في يديه مصائر أهل المدينة[بر]. لا يمثل الأدوار المسرحية الشريرة بل يمثل أدوار الفضيلة لأن التمثيل يكمن في النفس بتأثير الإشارات ونغمة الصوت وطرائق الفكر وتصبح له طبيعة ثانية.[تر] الحاكم العادل لا يقبل الحكم، إذا أمكنه التخلص منه لأن السفلة هم الذين يستميتون في سبيل الاستيلاء على الحكم وبخاصة أيام الرخاء، وهدفهم جني ثمار الآخرين. ولأن أثقل المصائب على الناس أن يحكم أسافلُهم وأراذلَهم فضلاءَهم وعقلاءَهم، فعليه أن يتبوأ المنصب تفادياً للوقوع في هذه المأساة والوصول على مثل هذه النتيجة. فالمدينة التي يحكمها أقل الناس رغبة في السلطة هي أسعد الدول حالاً.

---

(1) ونحن نقول أيضاً في المثل العامي بعد الضحك المفرط (الله يعطينا خير هذا الضحك) رغم أن الرسول محمد (ص) قال: (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت).

(2) أذكر أن البيت الأبيض الأمريكي قد عاب على (بوريس يلتسن) الرئيس الروسي الأسبق الإفراط في شرب الخمر على الرغم من أن النظر إلى المشروبات الروحية هناك لا تقاس بالمعيار الشرقي.

(3) أنا شخصيا لا أوافقه على فكرته. لأني عندما (أخرجت ومثلث) مسرحية (يهودي مالطة) لـ(كريستوفرمارلو) وكان دوري فيها دور (باراباس) اليهودي. لم يتملكني الدور ولم تصبح لي طبيعة ثانية وكم كنت سعيداً عندما كنت أسمع بعض الغمزات واللمزات النابية من الجمهور والتي تكاد تصل إلى مرحلة الشتيمة تعقيباً على كرههم لهذه الشخصية التي رغبت في إظهارها لأصل إلى مثل هذه النتيجة وأظهر للناس جشع اليهود، وعندما انتهيت من أداء الدور عدت وكأن شيئاً لم يكن.

جماعة القول: إن (أفلاطون) ركز في مدينته على الحاكم الفيلسوف والفيلسوف الحاكم فقال: (لن تزول تعاسة الدول وشقاء النوع الإنساني ما لم يحكم الفلاسفة أو يتفلسف الحكام).

أشكال الحكم عند أفلاطون

للحكم عند (أفلاطون) خمسة أشكال/ومن ثم هناك خمسة أنواع من الأفراد/ حسب التالي (الأرستقراطي ـ التيموقراطي ـ الأوليغارشي ـ الديمقراطي ـ المستبد).

الحكم الأرستقراطي: وقد استعملها (أفلاطون) (بمعناها الفلسفي = أي حكم العقلاء لا بمعناها السياسي)[لخ]. قال (سقراط): (إذا كانت المعرفة أسمى الفضائل كانت الأرستقراطية خير أشكال الحكم). وهي عند (أفلاطون) وحدها على هدى وكل ما عداها على باطل. والصفات التي ذكرناها آنفاً عن الحاكم من عدالة وعدم تملك وما إلى ذلك هي صفات الحاكم الأرستقراطي حصراً. يقول (جان جاك روسو): (الشر بدأ حين وضع أول إنسان أول علامة على قطعة أرض وقال: هذه لي). وقد وصف (ول ديورانت) في كتابه (قصة الفلسفة) أرستقراطية (أفلاطون) بأنها (ارستقراطية ديموقراطية)/25/. لأنها تعتمد على حاكم يركز عليه منذ طفولته إذ بعد أن يثبت جدارته من خلال تجاوزه الامتحانين يربى على الأيادي ومن السخف انتخاب مرشح غير كفء في كل شيء تصدره للانتخابات فئة (طامعة لا طامحة).

وإذا نجح مرشح من خلال العدد القطيعي الكمي لا الكيفي فلن يعمل إلا لمصلحة الفئة التي رشحته/ هذا إن عمل / لأنه كثيراً ما يعمل لمصلحته الشخصية ضارباً عرض الحائط بمن رشحه أو انتخبه. أما الحاكم الأرستقراطي كما نوهنا فيعمل لإسعاد الجميع بلا استثناء. يقول (اكسانوفون): (من السخف أن نختار الحاكم بالقرعة على حين لا يفكر أحد أن يختار بالقرعة ربان سفينة). كما أنه لا يمكن أن نختار رجلاً لا علاقة له بالطب لنطلق يده ليداوي المرضى. وأمر ما في العملية الانتخابية أنه يتساوى عندها صوت (المقدس والمدنس) و(صوت النبي وصوت

---

(1) حكومته المثلى ملكية (موناركية) عندما يتولاها فرد و(أرستقراطية) عندما تتولاها جماعة.

البغي) فكلاهما على الصعيد العددي صوت يضاف إلى قائمة المنتخبين. رقم ليس إلا. ولكن شتان شتان ما بين الرقمين على الصعيد المنطقي والعقلاني فالفارق بينهما أعظمي نقاء وصفاء، طهارة وجدارة.

الحكم التيموقراطي: كل مخلوق عرضة للزوال حتى نظام الأشخاص الذين هُذِّبوا وأُعِدُّوا ليكونوا حاكمين. وهذا الزوال خاضع لقاعدة الخصب والمحل الذي تطول وتقصر حسب طول حياة الأشياء. ولهذا الزوال مسببات كأن يوافق الحاكم على زواج في غير وقته الإلهي فتكون ثمرة هذا الزواج غير سعيدة ويمتلك أحدهم بقوة السلف من غير جدارة ذاتية. وعندما يحكمون بدل آبائهم لا يميزون بين المعادن التي إن تزاوجت ولّدت تنافراً عديم المساواة كان ذلك سبباً للتصدع. فيميل الفقراء إلى اقتناء الحقول ويتحول معدن الذهب والفضة عن الفضيلة، وينتهي الصراع بالتفاهم على اقتسام الأراضي والبيوت واستعباد أصحابها المسالمين، وتحويلهم إلى طبقة سفلى كعبيد أرقاء حيث يستعبد الفلاحون ويسود الجنود.(لخ) ينعتها (سقراط) بحكومة الشرف وينعتها (أفلاطون) بالنظام الطموحي. وهذا النظام مركب من خير وشر.

فهو خير: لأنه يبقي على تعظيم العنصر الحماسي واحترام السلطة ومظاهر الحكم والطعام الجماعي والتدريبات الرياضية والإعراض عن المهن اليدوية.

وهو شر: لأنه يظهر من خلاله روح التحزب والتعصب وحب التمايز ويفضل الجند على الموسيقى وعلى الفلاسفة العظماء (حيث يعرف الفلاسفة عبر نماذج مختلفة).

صفات التيموقراطي: ولوع بالشهرة والإطناب في المديح، محب للخطباء وليس خطيباً، محب للذات والملذات، ينبذ الثروة في صغره ويتعلق بها في كبره.

وللمرأة: دور كبير في ولادة (التيموقراطي) حيث تقرع الزوجة زوجها أمام أولاده حاثة إياه على التكالب على المناصب التي تساعد وتسارع في الثراء غير المشروع، وأن ينحي الفضيلة جانباً لأنها مجلبة للعار والصَّغَار له ولها، فقد وضعها أمام زميلاتها في وضع لا تحسد عليه حيث ترى زميلاتها يبدين زينتهن وهن في أبهى صورهن من خلال إبراز حللهن وحليهن والتباهي بأموالهن، وهي أقل زينة ومالاً، مما

---

(1) لأنه في الأرستقراطية لا أرقاء يونانيين.

يجعلها بالتالي أقل منهن شأناً. وتُحَمِّل زوجها تبعات (هوانِها) على الأخريات وتخاطب أولادها أمام أبيهم قائلة: (لو كان أبوكم رجلاً حاذقاً ذكياً/ فلهوياً/ يتقن لغة عصره لشابه الآخرين الذين يسيرون مع التيار كيفما سار ويميلون معه حيثما مال، يقنصون الذهب والمال. وكأن أباكم يجهل الشرائع التي تحكم المدينة). فتتجاذب الطفل قوتان متضادتان قوة أبيه والذي تغذي فيه القسم العقلي. الذي يجب أن يسود ـ وقوة أمه التي تغذي فيه القسم الشهوي السائد. وتتصارع في ذات الطفل القوتان. قوة ما هو سائد وقوة ما يجب أن يسود. وهذا الطفل ليس سيئاً. فهو ابن هذا الفارس النبيل(لخ) المغلوب على أمره والذي سكن مدينة ساء نظامها فتجنب المرافعات والدعاوى وآثر الخسارة على المشاغبة وارتكاب الرذيلة. ولا يلبث في النهاية إلا أن ينتصر القسم الغضبي والشهوي على القسم العقلي ويغدو الولد فرداً شعاره كشعار الآخرين كما يقول المثل العامي (حط رأسك بين الروس وقول يا قطاع الروس).. وهذا التحول هو إرهاص لظهور الأوليغارشية.

النظام الأوليغارشي: تسيطر فيه فئة محدوة أو عدد من الأسر الغنية يحكمون لمصلحتهم الخاصة. يَدُوس الأوليغارشيون النظام ويستبيحون قدسيته مطبقين شرائعهم بقوة السلاح. وتكالبهم على المال يخلق هوة سحيقة بين الثروة والفضيلة. يقول (أفلاطون): (متى علا قدر الثروة والمثرين بخست الفضيلة والفضلاء أقدراهم).

صفات الأوليغارشي: كاذب.. جبان.. عبّاد للمال.. وأصدقاؤه عَبَدَةٌ له أيضاً. يبذر أموال الآخرين محتفظاً بماله، يسعى لإبقاء الحكم في أيدي الطبقة الغنية الفاسدة. والثروة في هذا الحكم مقياس الجدارة (يعني بجيبك قرش بتسوى قرش) يتخطى هذا الحكم العرف القائل: (لا يجوز أبداً أن يثرى إنسان حتى يستطيع شراء غيره). وبما أن القاعدة تقول: (كل ما عظم راج وكل ما حقر أهمل) نرى حتى المحاربين الأشداء في هذا النظام لا هم لهم سوى جمع المال. فينصب على الحكم الغني غير ذي الجدارة لغناه ويبعد الفقير الجدير عن الحكم لفقره. لذا فلا مكان للفقراء في هذا النظام أبداً وأخطر ما في هذا النظام أنه يسمح للمواطنين ببيع

---

(1) نلحظ شدة تركيزه على النسل.

ممتلكاتهم فيقتنيها سواهم ويغدو الذين باعوا الممتلكات فقراء معدمين صفر اليدين بلا عمل. مستهلكين لا منتجين. يقول (أفلاطون): (متى رأيت متسولين في مدينة فاعلم أن فيها لصوصاً ونشالين وسارقين هياكل). ويكاد يكون / في هذا النظام / سائر الشعب متسولاً باستثناء الطبقة الحاكمة. فتنقسم المدينة إلى قسمين: /أغنياء وفقراء/ أغنياء: حتى التخمة والتقيء (وهم الحكام) وفقراء حتى العدم والانسحاق (باقي فئات الشعب). وأذكر في هذا الصدد جملة قالها (توفيق الحكيم) في كتابه (عصا الحكيم) (الجوع أول ما يولد على الأرض وآخر ما يموت)[لخ]. مع غياب الطبقة الوسطى غياباً تاماً (ونحن نعرف أن الثورة الفرنسية كانت ثورة الطبقة الوسطى على الإقطاع)[بر]. حيث تكيد كل طبقة للأخرى كيد المجروح لجارحه والسجين لسجانه. وبإمكاننا القول: (إن لب النظام الأوليغارشي) يحظر الاشتغال بالحكم على من لا يدفع ثمن المنصب الذي يطمح إليه أو يطمع به (مبدؤهم) (كلما عَظُمَ المبلغ المدفوع عَظُمَ المنصب المطلوب) كمعادلة الأواني المستطرقة. والأوليغارشي يشك بأقرب المقربين إليه. يتصيد زلات الآخرين حتى البسيطة منها والتي لا تصل في أعلى درجاتها إلى (الجنحة) وهو غارق حتى الأذقان في خضم الزلات وكل زلة من زلاّته (جناية عظمى) بحد ذاتها. والحكام الأوليغارشيون لا يستطيعون الدفاع عن الوطن لأنهم إن سلحوا العامة خافوا من تسليحهم أكثر من خوفهم من العدو الخارجي، ولأنهم يأكلون أموال غيرهم أكلاً لمّاً (ويحبون أموالهم حبّاً جمّاً) لا يمكّنهم بالتالي جشعهم من دفع ضرائب الحرب.

و يتم الانتقال من التيموقراطية إلى الأوليغارشية على الشكل التالي: كان للتيموقراطي ولد يفخر بوالده أيما فخار لأن أباه قاد جيوش المدينة في معارك حاسمة، وكان له إسهام كبير في كسب الحرب كما شغل والده ساميات المناصب. وبين عشية وضحاها تنقلب الآية بلمح البصر نتيجة لوشاية لا أساس لها من الصحة، ينساق والده مقيداً بالأغلال إلى المحكمة فيحكم عليه بالإعدام أو النفي

(1) انظر كتاب الهلال الذي يحمل الاسم نفسه ص /12/عدد/235/.

(2) انظر كتاب دراسات في النظم والمذاهب. د. لويس عوض ص/90/.

أو سلب الحرية، دون التحقق من صحة الخبر وصدق المُخْبِر، ضاربة عرض الحائط بكل مآثره وأياديه البيضاء. وعندما يرى الولد فظاعة ما حل بوالده وهو في مدينة تضرب السرقة فيها أطنابها وتبدي في وضح النهار أنيابها (يبيع الجمل والجمال والرسن معهما أيضاً) ويرمي بالمثالية جانباً رافعاً شعار (الصيد لمن سبق).

النظام الديمقراطي: (سلطة الشعب)

ـ شجعت الأوليغارشية ـ كما رأينا ـ ظهور الطفيليين والبطالين. ولما كانت قوة الحاكمين متوقفة على ثرواتهم كانوا لا يمنعون الشباب من تبذير أموالهم ليقرضوهم المال ومن ثم يسلبوهم بقية أرزاقهم من خلال الفوائد الفاحشة. وعندما يفوز الفقراء على أعدائهم يقتلون البعض وينفون البعض الآخر ويقتسمون مع الباقين حقوقهم ومناصبهم بالتساوي وغالباً ما يكون ذلك عن طريق الاقتراع.

أوصاف الديمقراطي: فعال لما يشاء.. يسالم إن حاربت الدولة وبإمكانه أن يحارب إذا سالمت. غير مضطر لتولي الحكم بحق أو بغير حق. كالسفسطائين الذين طالبوا الشعب باختراق القوانين كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. يستعصي على كل نظام لأنه بلا نظام. الجميع متساوون عنده في الحقوق والواجبات رغم الفروق الفردية بينهم (و إذا تساوت المكافآت.. تساوت الكفاءات) تنتهي حرية الآخرين عندما تبدأ حريته لا العكس. ف (جان جاك روسو) يرى أن الفرد الاجتماعي يحد حريته الفردية في طاعة المجموع، والحرية لا تتعارض مع القسر إذ جاء القسر من إدارة وإرادة المجموع ضمن سيادة القانون... ولقد وسَّع (روسو) مفهوم الحرية حتى شمل طاعة القانون[لخ]. وحتى المحكوم عليهم في هذا النظام يسيرون في الطرق العامة وكأنه لا أحد يراهم. والديمقراطية لا تملك دستوراً كونها معرضاً للدساتير وبالتالي.. تهدم نفسها بنفسها من خلال إفراطها في الديمقراطية. ويرون ما رآه (هيبياس الإ ليسي) أن القانون طاغية يتحكّم في الإنسان. و(الأحداث = الصغار) في هذا النظام لا يحترمون الشيوخ. والوالد يخاف من ولده والولد يمتهن والديه والأستاذ يخاف من تلاميذه فيتملقهم ويحتقر الطلاب معليمهم ويزدرونهم. حتى العبيد يترفعون على أسيادهم . فالديمقراطية الحقة

---

(1) دراسات في النظم والمذاهب. د. لويس عوض عدد /199/ كتاب الهلال ص /75+76/.

هي تحرر من الشهوات إلا أن الديمقراطيين يفهمونها على أنها تحرر من القيم والشرائع وارتكاب ما لذ وطاب. حتى في حدودها الدنيا. وفي هذا النظام يحكم الجميع ما عدا أصحاب الجدارة. إن الحرية الزائدة، تقود إلى العبودية الزائدة والحرية المطلقة هي التي تصنع الاستبداد، وطبيعي أن يكره (أفلاطون) الديمقراطية كرهاً يجري مع الدم في عروقه لأنها السبب في قتل أستاذه (سقراط)، حيث سار (أفلاطون) على نهج خطاه والذي كان على يد الديموقراطيين منتهاه (أي سقراط).

النظام الاستبدادي: استجرت الحرية المطلقة في الديموقراطية الإباحة والفوضى وإهانة النظام والحكام وعاشت المدينة تسيباً لم يسبق له مثيل. قانونها أن لا يحكمها قانون وشريعتها أن لا تخضع لشريعة، فيستنجد الشعب بمن يرى فيه الكفاءة والجدارة ليوليه أموره فيعتلي هذا الرجل سدة الحكم كمنقذ ومخلص يهش ويبش أول حكمه.. يلغي الديون.. ويخفف الضرائب.. ويوزع الأراضي على الجميع ويتظاهر بالوداعة والأمان.. ومحبة السلام والوئام وإنصاف المظلومين وإسعاد المحرومين..حتى يتوقع الشعب أن لا منقذ إلاه، وسيحقق الشعب على يده مبتغاه ومرتجاه. وما أن تستتب الأمور ويقبض على زمام الحكم بيد من حديد، وهو يرى رضوخ الشعب له رضوخاً كاملاً، ويعظمه تعظيماً أعمى ـ يكسر شرنقة وداعته مظهراً بواطنه متحولاً من بشري إلى (جلجامش) جديد ثلثاه إله مع غياب (أنكيدو) يحد من جبروته، وشعاره (ابطش تبق الأجدر والأقوى). فيبدأ بفرض الضرائب الباهظة حتى يبقي الشعب في فقر مدقع ويبقيه عبداً لإرادته، ولا هم لشعبه سوى التفكير بتأمين لقمة عيشه اليومية، وبذلك لا يجد الشعب متسعاً للتفكير في طريقة الخلاص منه. يبدأ بشن الحروب الخارجية ليظل الشعب بحاجة إليه كقائد. وإذا ارتاب من أحدهم قذف به إلى الخطوط الأمامية في مواجهة العدو لتصفيته تحت شعار الدفاع عن المدينة وأنه لم يصرف مواطناً وإنما صرف عدواً أخل باستتباب الأمن وبحفظ النظام (كما فعل داود بزوج إيليا بنت شابع كما تقول التوراة) يضطهد الجميع بدعاوى مختلفة، وبخاصة أصحاب الجدارة، فإذا رأى بين أفراد المدينة نبيهاً كريم النفس عفيفاً لديه بارقة إبداع تجعله في المستقبل ذا شأن، أو رأى مواطناً بإمكانه الوقوف في حضرته منتصب القامة في موقف رجولي، طهر المدينة

من رجسه ودنسه ـ فوراً ـ بالطرق المشروعة وغير المشروعة، عكس الطبيب الذي يخرج الداء من الجسم أما هو فيخرج السليم من جسد المدينة. ويذكرنا ذلك بمسرحية الأيدي القذرة (لجان بول سارتر) حيث صور فيها زعيماً شيوعياً مزيفاً يرتكب الجرائم باسم الجماهير ويخرج السليم من جسد المدينة ليبقى الداء مستفحلاً فيها والأراذل يتبخترون في ساحاتها. يفعل ذلك لأنه فقد حس الانتماء للمدينة وأهلها. ومن يفقد حس الانتماء فَقَدْ فَقَدَ شيئين في آن معاً فقد الحس أولاً ـ و(سقراط) يقول: (من فقد حساً ما فقد فقد علماً ما) ـ وفقد الانتماء ثانياً لأن الشعور بالانتماء له شأن كبير في عدم الإيذاء. ومن يشعر بالانتماء إلى ثلة ما لا يؤذيهم حتى ولو حاولوا هم إيذاءه. وبما أن العادة تنشأ من التكرار فإن هذا الطاغية بحاجة إلى لعق الدم الطازج يومياً فيمص دم الشعب بشفتين نجستين حسب التعبير الأفلاطوني، فيغتال أعز أصدقائه، ويتطاول حتى على والده إذا استدعى الأمر ذلك، ويفعل كل باطل، ويكون بذلك أجرأ من (زينون الإغريقي) الذي قال: (إني جبان لأني لا أستطيع أن أفعل ما هو باطل) لأنه لم يعد يستطع التمييز بين الحق والقوة وبين القانون والسلطة.

وعندما يحس بكره الناس له يشعر أنه بحاجة إلى حراس (رماديين) ظاناً أنهم أشد إخلاصاً من أصحاب المبادىء، ويفضل العبد على الحر لأن العبد ـ في رأيه ـ مهما استعلى.. يبقى دونياً[لخ]. هذا المستبد ـ من خلال سلطته المطلقة ـ يدوس الشرائع كلها. يقول اللورد (أكتون) (السلطة المطلقة مفسدة مطلقة)[بن]. يدوسها لخنق الأنفاس التي في الصدور حين يشتم رائحة خطر ينذر بثورة. يقول (أفلاطون): (لا يمكن خنق الثورات بالنفي والقتل بل بشرائع يخضع لها الحاكم قبل المحكوم). ولكي يشعر بالأمان أكثر يطلب مزيداً من الحراس فيأتيه الحرس من كل حدب وصوب ومن خارج المدينة أيضاً طمعاً بالمبالغ الباهظة التي تخصص لهم. بمناسبة وغير مناسبة.. يقيم

---

(1) ونسي بأن الأحرار إذا صادقوا صدقوا، وإن وعدوا وفوا، وإن حرسوا ما ناموا، وإن إتمنوا ما خانوا.

(2) يرى (جان جاك روسو) أن الأغلال التي يرسف بها الإنسان في كل مكان مصدرها السلطة. انظر كتاب (دراسات في النظم والمذاهب) د. لويس عوض ص/74/ حتى أن هتلر زعم أن العناية الإلهية هي التي أرسلته لإنقاذ الشعب الألماني ليقود الناس إلى النظام العالمي الجديد.

لهم وللمقربين الولائم ويجزل العطاء. وإذا رغب حراسه في الحصول على شيء منه جثوا أمامه على ركبهم يلعقون حذاءه بألسنتهم، وعندما يحصلون على مبتغاهم يعودون كما كانوا غرباء لأنهم بطبعهم (رماديون) لا منتمون وبالتالي فهم أحط من الكلب الذي تحدث عنه (أفلاطون) في جمهوريته. وبما أن الصغير صغير بالنسبة لمن هو أكبر منه فتراهم لا يحسون بصغرهم وصغارهم الا في حضرته وكل ما عداه في نظرهم محتقر وضيع. وإذا ما أردوا فعل شيء في المدينة تحدثوا بلسانه وضربوا بسيفه رافعين شعار (الحق للقوة) فيحققون مبتغاهم. وقد وصفهم (أفلاطون) بـ (أكبر المعتدين) ووصف المدينة التي يحكمها (طاغية مستبد) بأنها(أشقى المدن على الإطلاق).

كلمات مقتضبة

إذا رأى (تشرشل) أن جميع الأنظمة السياسية فاسدة لأن (السياسة لا تتفق مع الأخلاق في شيء) فإن (أفلاطون) ـ الذي لم يفرق بين ما هو سياسي وما هو أخلاقي ـ شأن الفكر اليوناني كله ـ قد استثنى من هذه القاعدة الحكم الأرستقراطي وعزا فساد الحكم كله إلى فساد (العدالة) التي عرفها بأنها (اقتصار الإنسان على ما يخصه). وعلى الرغم من أن بعض الفلاسفة قد رأى أن الإنسان الذي يتنازل عن حريته هو إنسان يتنازل عن إنسانيته فإن الفيلسوف (جروتيوس) رأى أن الناس يتنازلون برغبتهم عن حريتهم للسلطة المهيمنة عليهم من اجل تحقيق عدالة يتفيأ بظلها الجميع.

إلا أن (بركليس) رأى أن أي نوع من أنواع الحكم يبدو سيئاً إذا لم يعد عليهم بالخير، فوجه عنايته إلى سياسة البلاد الاقتصادية ليحقق هذه المعادلة[1] لخ.

ختاماً نقول:

(1) لقد خصص (بركليس) مبلغاً لسائر الشعب حتى لحضور العروض المسرحية التي تعرض في المناسبات والأعياد لقناعته بأن الثقافة ليست حكراً على الأرستقراطين بل يجب أن تكون لفئات الشعب كافة، لأن الأمة المثقفة أمة أكثر وعياً من الأمة الجاهلة.

إن سائر اليوتوبيات ـ التي حاولت تقليد (أفلاطون) والتي سبقت طوباويته كما ادعى (أرسطو) حين قال: (إن ما جاء به أفلاطون عرفته شعوب منذ أجيال بعيدة) ـ ما هذه اليوتوبيات الإ محاولات للانتقال من الألم إلى الأمل، ومن واقع مر إلى غد مرتجى. محاولات لاستنزال (الفردوس الدانتي).. لإستنزال الفردوس الأعلى حتى ينعم في سكناه الأرضيون. يقول (أناتول فرانس) (لولا اليوتوبيات لظل الناس يعيشون في الكهوف عرايا بؤساء) (اليوتوبيا مبدأ كل تقدم ومحاولة لبلوغ غد أفضل) و(كاوتسكي) رأى (أن الاشتراكية الحديثة تبدأ مع اليوتوبيا).

obeikandl.com

المصادر والمراجع

1 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت /ج7/ ص/103/.

2 ـ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية. د.محمد عبد الرحمن مرحبا ـ من الجوهر ـ كمال يوسف الحاج ص/59/ دار النهار للنشر.

4 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت /ج7/ ص/239/.

5 ـ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية د. محمد عبد الرحمن مرحبا ص/642/.

6 ـ الفكر اليوناني قبل أفلاطون د. حسين حرب / من المقدمة /.

7 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت /ج7/ ص/6/.

8 ـ من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية د. محمد عبد الرحمن مرحبا ص/642/.

9 ـ تاريخ العلم جورج سارطون /ج3/ ص/20ـ21/.

10 ـ أصالة الفكر العربي . عمر فروخ ص/21/.

11 ـ ص/63/ وقد أكد ذلك حديثاً روجيه غارودي.

12ـ بداية القدماء وهداية الحكماء ص/12/.

13 ـ الفلسفة في العصر المأساوي. فريدريك نيتشه ص/45/.

14 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت ص/490/.

15ـ فلاسفة الشرق والغرب. مصطفى غالب ص/296/.

16 ـ أفلاطون. جيروم غيث. من المقدمة ص/7/.

17 ـ جمهورية أفلاطون. ترجمة حنا خباز من المقدمة ص/8/.

18 ـ المدينة الفاضلة عبر التاريخ. ماريا لويز بيرنيري ص/31/.

19 ـ أفلاطون والأكاديمية. جان بران ص/123/.

20 ـ المصدر نفسه ص/123ـ124/ وقصة الفلسفة. ول ديورانت ص/43/.

21 ـ المصدر نفسه ص/124/.

22 ـ أصالة الفكر العربي.. عمر فروخ ص/103/.

23 ـ قصة الحضارة. ول ديورانت /ج7/ ص/81/.

24 ـ المصدر نفسه ص/45/.

obeikandl.com